موضوع الألسنية

ف. دو سوسير

تعرض، من يحاول ترجمة سوسور، صعوبة أخرى غير صعوبة المصطلح. وهي ترجع الى أن كتابه (cours de linguistique générale) (محاضرات في الألسنية العامة) ليس عادياً، بمعنى أنه لم يكتب لينشر. بل هو عبارة عن محاضرات ألقيت في الجامعة في فترات جامعية ثلاث بين عامي ١٩٠٦و١٩١١. ثم جمع طلابه بعد وفاته هذه المواد وقابلوها ببعضها وبالأوراق التي تركها سوسور نفسه وأعادوا صياغتها الى حد ما وطبعوها في كتاب. لكن اسلوب المشافهة لا يزال يطبع هذه المحاضرات.

١ – اللسان. تحديده

– ما هو موضوع الألسنية الملموس والمتكامل في الوقت نفسه؟ إن لهذه المسألة صعوبة خاصة. وسنرى ما سبب ذلك في ما بعد؛ ولنقتصر هنا على إفهام هذه الصعوبة.

إن علوماً أخرى تجري عملياتها على مواضيع معطاة سلفاً بحيث يمكن لاحقاً النظر إليها من زوايا مختلفة. أمّا في ميداننا فلا شيء يشبه ذلك. حين يلفظ أحدهم الكلمة الفرنسية nu : يميل المراقب السطحي إلى أن يرى فيها موضوعاً ألْسنيّاً ملموساً. بيد أنَّ تمعناً بها أكثر نباهةً يجعلنا نجد فيها تباعاً ثلاثة أو أربعة أشياء مختلفة تمام الاختلاف. وذلك تبعاً للطريقة التي ينظر بها إليها: كصوت، كتعبير عن فكرة. كمقابل للكلمة اللاتينية nudum. إلخ.. فالموضوع ليس سابقاً على وجهة النظر، بل نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول ان وجهة النظر ربما خلقت الموضوع. أضف إلى ذلك انه. لا شيء يقول لنا مسبقاً أن واحدة من الطرق التي ننظر فيها إلى الواقع المعني سابقة على الأخرى أو أفضل منها زد على ذلك أن الظاهرة اللسانية. أياً كانت الطريقة التي نتبناها. تنطوي دائماً على وجهين اثنين يتقابلان ولا قيمة للوجه الواحد إلا بالآخر. مثلاً:

١ – إن المقاطع التي ننطق بها هي انطباعات سمعية تلتقطها الأذن. لكن الأصوات لا وجود لها

بدون أعضاء الصوت ؛ وهكذا فإنَّ n لا توجد إلا بتقابل هذين الوجهين. فنحن إذن لا نستطيع اختزال اللسان إلى الصوت ولا فصل الصوت عن التفوّه ؛ وبالمقابل فإنه لا يمكن تحديد حركات أعضاء الصوت إذا وضعنا الإنطباع السمعي جانباً.

٢ – ولكن، لنسلّم جَدَلاً بأن الصَّوْتَ شيْ بسيط : فهل هو الذي يصنع اللغة؟ كَلاَّ، فما هو سوى أداة الفكر ولا وجود له لذاته. هنا يبرز تقابل جديد وخطير: فالصوت الذي هو وحدة سمعية – صوتية معقدة، يؤلف بدوره مع الفكرة وحدة معقدة فيزيولوجية وذهنية. وهذا لَيْسَ كلّ شيْ بعد :

٣ – إن للغة جانباً فردياً وآخر إجتماعياً، وليس يعقل الواحد دون الآخر. زد على ذلك :

٤ – ان (اللغة) في كل لحظة تتضمن نسقاً قائماً وفي الوقت نفسه تطوراً. وفي كل لحظة هي مؤسسة راهنة ونتاج للماضي. ويبدو للوهلة الأولى أنه من السهل جداً أن نميز بين هذا النسق وبين تاريخه، أو بين ما هو عليه وبين ما كان عليه. في الواقع أن الصلة التي تجمع بين هذين الشيئين هي من المتانة بحيث يصعب فصمها. أتصبح المسألة أكثر بساطة إذا تناولنا الظاهرة اللسانية من حيث أصولها فبدأنا مثلاً بدراسة لغة الأطفال؟ كلاَّ لأنه من الخطأ الشديد أن نظن، في مجال اللغة، أن مشكلة الاصول تختلف عن مشكلة الشروط الدائمة. إذن لا خروج من الدائرة.

وهكذا فإن موضوع الألسنية المتكامل لا يهب نفسه لنا أياً كانت الجهة التي منها نطرق المسألة. ونحن أمام هذا الخيار المزدوج أياً كانت زاوية نظرنا : إما أن نطرق جانباً واحداً من كل مسألة فنعرِّض بذلك أنفسنا لخطر عدم إدراك الثنائيات المشار إليها أعلاه ؛ وإما أن ندرس اللغة من جوانب عديدة وفي آن واحد، فيظهر بذلك موضوع الألسنية وكأنه كومة مبهمة من خليط الأشياء التي لا صلة فما بينها. وحين ننهج هذا النهج نفتح الباب أمام علوم عديدة – علم النفس، الأنتروبولوجيا، القواعد المعيارية، الفيلولوجيا، إلخ. – علوم نفصلها نحن عن الألسنية بشكل لا لبس فيه، ولكنها بسبب من منهج خاطئ قد تطالب باللغة كواحد من مواضيعها.

وفي رأينا لا يوجد سوى حل واحد لجميع هذه الصعوبات : يجب أن نضع أنفسنا أولاً بأول في ميدان اللسان وأن نأخذه معياراً من بين كل تجليات اللغة الأخرى. ففي الواقع، يبدو اللسان وحده، من بين كثير من الثنائيات، قابلاً لأن يحدد تحديداً مستقلاً. وهو وحده يشكل سنداً مرضياً للذهن.

ولكن ما هو اللسان؟ إنه، بالنسبة لنا، يختلف عن اللغة. فما هو سوى جزء معين منها. أساسي بالتأكيد. إنه نتاج إجتماعي لملكة اللغة وفي الوقت نفسه مجموعة من الإصطلاحات الضرورية التي يتبناها

الجسم الإجتماعي مما يسمح بممارسة هذه الملكة عند الأفراد. وإذا أخذنا اللغة بكليتها. نرَاها متعددة الأشكال متنافرة؛ إنها في الوقت ذاته على تخوم عدة ميادين فيزيائية وفيزيولوجية ونفسانية. وتنتمي إلى الميدان الفردي والميدان الإجتماعي. وهي لا تسمح بأن تصنّف في فئة من فئات الوقائع الإنسانية إذ ليس يُعرف كيف تستخرج وحدتها.

أمّا اللسان فعلى العكس من ذلك. إنه كلٌّ بذاته ومبدأ تصنيف. حين نعطيه المركز الأول بين وقائع اللغة، نُدْخل ترتيباً طبيعياً في مجموع لا يسمح بأي تصنيف آخر.

وقد يعترض على مبدأ التصنيف هذا بالقول إن ممارسة اللغة تعتمد على ملكة ندين بها للطبيعة، بينما اللسان شيءٌ مكتسب واصطلاحي يجب إلحاقه بالغريزة الطبيعية بدل تقديمه عليها.

وهذا جوابنا الممكن:

باديءَ ذي بدء، لم تتم البرهنة بعد على أن الوظيفة اللغوية، كما تتجلى عندما نتكلم، هي طبيعية تماماً. بمعنى أنه لم تتم البرهنة على أن جهازنا الصوتي هو للنطق كما هي أرجلنا للمشي. إن الألسنيين بعيدون كل البعد عن الاتفاق على هذه النقطة. ففي رأي وايتني (whitney)، الذي يجعل من اللغة مؤسسة اجتماعية على نفس مستوى المؤسسات الأخرى، نحن نستعمل جهاز الصوت كأداة لسانية من باب الصدفة ولأسباب عملية، إذ كان في مستطاع الناس اختيار الحركة واستعمال الصور المرئية بدل الصور السمعية. لا شك أن هذه الأطروحة شديدة الاطلاق؛ فاللغة ليست مؤسسة اجتماعية شبيهة في كل تفاصيلها بالمؤسسات الأخرى. أضف إلى ذلك أن وايتني يذهب إلى أبعد مما يجب حين يقول ان اختيارنا وقع صدفة على الأعضاء الصوتية. أما في ما يتعلق بالنقطة الجوهرية فالألسني الأميركي على حق. في ما يبدو لنا: ان اللسان اصطلاح. والعلامة المصطلح عليها ذات طبيعة محايدة. إن مسألة الجهاز الصوتي إذن ثانوية في مجال اللغة. وربما عزز هذه الفكرة تحديد معين للغة المتلفظ بها. ففي اللاتينية، articulus «عضواً أو قسماً أو جزءاً من تتابع أشياء». أما فيما يتعلق باللغة فالتلفظ (articulation) يمكن أن يفيد: اما تقطيع السلسلة الكلامية إلى مقاطع وإما تقطيع السلسلة الدلالية إلى وحدات دلالية. وبهذا المعنى يقال في الألمانية: gegliederte sprach فإذا أُخذ بهذا التحديد الثاني، يمكن القول: إن اللغة المنطوقة ليست هي الطبيعية عند الإنسان بل ملكة تشكيل اللسان أي النسق (المؤلف) من علامات متمايزة تقابلها أفكار متمايزة.

لقد اكتشف بروكا (Broca) ان ملكة التكلم قائمة في التجويف الجبهوي الثالث إلى اليسار. وقد اعتُمِدَ على هذا الإكتشاف لتُنْسَب إلى اللغة صفة الطبيعية. لكنه بات من المعلوم أن هذا التعيين المكاني هو لكافة ما يتعلق باللغة بما في ذلك الكتابة. إن هذه الملاحظة، مضافة إلى ملاحظات أُخرى حول مختلف أشكال الحُبسة الناتج عن تَلَفِ مراكز التعيين هذه، تدل في ما يبدو: ١ – على أن

الاضطرابات المختلفة في اللغة الشفوية متداخلة بألف شكل وشكل. مع اضطرابات اللغة المكتوبة.
٢ -- على أن ما هو مصاب في كل حالات الحبسة أو عسر الكتابة. إنما هو ملكة استحصار علامات لغة منتظمة بواسطة أداة. أياً كانت هذه الأداة. أكثر مما هو ملكة نطق هذه الأصوات أو تلك. أو ملكة رسم هذه العلامات أو تلك. كل هذا يسوقنا إلى الاعتقاد بأنَّ ثمة ملكة أعم تشرف على آداء مختلف الأعضاء. وتأتمر الإشارات بأمرها. وربما كانت هي الملكة اللغوية بالتمام. ومن هنا. نرى أنفسنا نصل إلى الخلاصة نفسها الواردة آنفاً.

لكي نعطي اللسان المكان الأول في دراسة اللغة. يمكن أخيراً. إبراز هذا البرهان الذي مفاده أن ملكة النطق – طبيعيةكانت هذه الملكة أم لا – لا تمارس إلا بعون الأداة المخلوقة أو المعطاة من الجماعة. فليس من الوهم إذن أن نقول، إن اللسان هو الذي يؤمّن وحدة اللغة.

٢ – مكانة اللسان من وقائع اللغة:

لكي نعثر على الحقل المتعلق باللسان من بين مجموع اللغة يجب أن نضع أنفسنا أمام الفعل الفردي الذي يتيح إعادة بناء حلقة الكلام . يفترض هذا الفعل وجود فردين على الأقل، إذ هذا هو الحد الأدنى المتوجب توفّره لتكون حلقة الكلام كاملة. لنفرض إذن أن هناك شخصين. ألفاً وباء. يتحادثان:

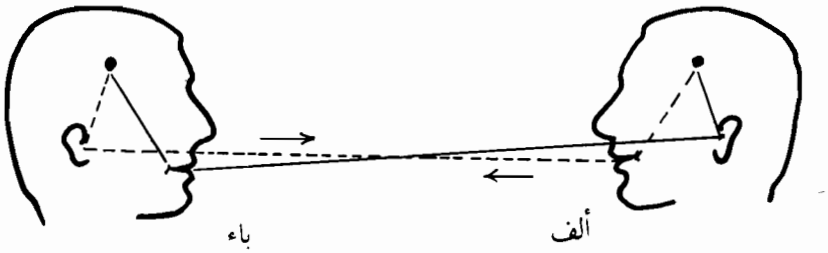

إن نقطة انطلاق الحلقة هي في دماغ واحد منهما. لنقل انها في دماغ ألف، حيث تكمن وقائع الوعي، التي سنطلق عليها اسم مفاهيم. مقرونةً بما ينوب عن العلامات اللسانية، أي بالصور السَمعية المستخدمَة للتعبير عن أشياء الوعي هذه. لنفترض أن مفهوماً ما أُطلق في الدماغ صورةً سمعية تقابله: إن هذه ظاهرة نفسانية كلياً، تتبعها عملية فيزيولوجية: ينقل الدماغ الى أعضاء النطق دفعاً متناسباً مع الصورة ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم ألف باتجاه أذن باء. وهذه عملية فيزيائية صرفة. بعدها تتابع الحلقة في باء في ترتيب معكوس: من الأذن الى الدماغ، نقل فيزيولوجي للصورة السمعية؛ في

الدماغ، اقتران نفساني لهذه الصورة بالمفهوم الملائم. أما إذا تكلم باء فان هذا الفعل الجديد ينحو المنحى السابق نفسه، ويمر في المراحل المتتابعة ذاتها التي نورد في ما يلي رسماً لها:

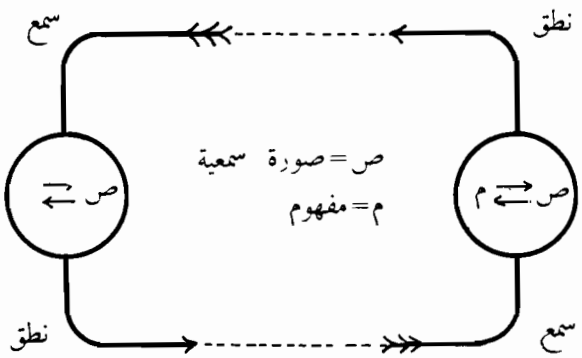

إن هذا التحليل لا يدَّعي أنَّه تام. إذ بمكننا لو شئنا الكلام عَلى: الاحساس السمعي الصرف وتطابق هذا الاحساس مع الصورة السمعية وعن صورة النطق العضلية.. الخ. ولكننا لم نأخذ في الحسبان إلاّ العناصر التي تعتبر أساسية. بيد أن الرسم أعلاه يسمح بالتمييز من الوهلة الأولى بين الأقسام الفيزيائية (الموجات الصوتية) والأقسام الفيزيولوجية (النطق والسمع) والأقسام النفسانية (الصور الكلامية والمفاهيم). إنه لمن الأهمية القصوى أن نلاحظ أن الصورة الكلامية تختلف عن الصوت ذاته وأنها نفسانية على نفس مستوى المفهوم الذي يقترن بها.

ومن الممكن أيضاً تقسيم الحلقة كما بيّناها:

(أ) الى قسم خارجي (إرتجاجات صوتية تنطلق من الفم الى الأذن). وقسم داخلي يضم كل ما عداها.

(ب) الى قسم نفساني وآخر غير نفساني يضم الوقائع الفيزيولوجية التي مقرّها الأعضاء. والوقائع الفيزيائية مما هو خارج الفرد.

(ج) الى قسم فعّال وآخر سلبي. أما الفعّال فهو كل ما ينطلق من مركز التداعي عند فرد ما الى أذن الفرد الآخر. وأما السلبي فهو ما ينطلق من أذن الثاني الى مركز التداعي عنده.

وأخيراً فانه من الممكن في ما يتعلق بالقسم النفساني المتعين في الدماغ، تسمية كل ما هو فعّال (م ← ص) بالتنفيذي وكل ما هو سلبي (ص ← م) بالمتلقي.

يجب أن نضيف ملكة التداعي والتنسيق التي تتجلى حين يتعدى الأمر العلامة المنعزلة.

إن هذه الملكة تلعب الدور الأهم في تنظيم اللسان من حيث كونه نسقاً. ولكن، لكي نفهم جيّداً هذا الدور علينا أن نخرج من الفعل الفردي الذي لا يتعدى كونه جنين اللغة، وأن نتناول الواقعة الاجتماعية.

إن محصّلةً وسطاً تستوي بين جميع الأفراد الذين تجمعهم اللغة: جميعهم يكررون نفس العلامات المتحدة بنفس المفاهيم وليس هذا التكرار تاماً ولا شك، وانما على وجه تقريبي.

ما منشأ هذا التبلور الاجتماعي؟ أي قسم من بين أقسام هذه الحلقة يمكن أن يكون معنيًّا؟ لانه من المحتمل جداً أن لا تكون كل الأقسام مشاركة على السواء.

يمكننا فوراً، إبعاد القسم الفيزيائي، لأنه حين نسمع لساناً يحكي ونجهله، نلحظ الأصوات لكننا نبقى، بسبب من عدم فهمنا هذه الأصوات، خارج الواقعة الاجتماعية.

وكذلك فالقسم النفساني ليس كله معنياً: فالجانب التنفيذي يبقى خارجاً لأن التنفيذ لا تقوم به أبداً جموع الناس إذ هو فردي والفرد سيّده. اننا نسميه الكلام.

فبعمل الملكتين، المتلقية والمنسِّقة (بكسر السين) تتشكل عند الأفراد بصمات تكاد تكون واحدةً عند الجميع. فكيف يجب أن نتصور هذا النتاج الاجتماعي ليظهر اللسان خالصاً مما عداه؟ لو كان باستطاعتنا الاحاطة بمجمل الصور الكلامية المخزونة عند كل الأفراد لتمكنا من وضع اليد على الصلة الاجتماعية التي تكوِّن اللسان. انها كنزٌ أودعته ممارسة الكلام، لدى الأفراد المنتمين الى المجموعة البشرية نفسها، ونسقٌ نحويٌ قائم ضمناً في كل دماغ، أو بكلام أدق في أدمغة مجموعة أفراد. لأن اللسان ليس كاملاً عند أحد، ولا وجود له كاملاً إلاّ عند جموع الناس.

وبفصلِنا اللسان عن الكلام نفصل دفعة واحدة:

١ – ما هو اجتماعي عما هو فردي.

٢ – ما هو جوهري عمَّا هو مساعد وعمّا هو طارئ بمقدار أو بآخر.

لا يتحدّد اللسان بالفرد الناطق، انه النتاج الذي يسجله الفرد بشكل سلبي. ولا عمد فيه. أما إعمال الفكر فلا يأخذ مكانه إلاّ في النشاط العائد للتصنيف الذي سنتكلم عنه.

أما الكلام فعلى العكس من ذلك إنه عمل الارادة والذكاء عند الفرد وعلينا أن نميّزَ فيه:

١ – بين التراكيب التي بها يستعمل الفرد الناطق «نظام الاشارات» اللسانية بهدف التعبير عن فكره الشخصي.

٢ – وبين الآلية النفسية الفيزيائية التي تتيح له إخراج هذه التراكيب.

والجدير بالملاحظة اننا حدّدنا أشياء لا كلمات. وليس على التمييزات التي أقمناها أن تخشى بعض مفردات مبهمة لا تتطابق بين لغة وأخرى. ففي الالمانية، كلمة (sprache)، تعني (langue) و(langage) («لسان» و«لغة»)؛ و(Rede) تتطابق تقريباً مع (parole) («كلام») إضافة الى المعنى الخاص لكلمة (discours) «خطاب». وفي اللاتينية، (sermo) تعني بالأحرى (langage) و(parole) (لغة و كلام) بينما تعني (lingua)، (la langue) (اللسان). وهكذا دواليك. ليس ثمّة واحدة من هذه الكلمات تطابق بشكل تام واحدة من التصورات المحدّدة أعلاه؛ لذا، فانَّ كل تحديد لكلمة هو باطل، انها لطريقة رديئة تلك التي تنطلق من الكلمات لتحديد الأشياء.

لنجمل صفات اللسان:

١ – انه موضوع بَيّنُ الحَدّ في المجموع المتنافر من الوقائع اللغويَّة. ويمكن تعيين موضعه في قسم من الحلقة محدّد، حيث الصورة السمعية تقترن بالمفهوم. إنه القسم الاجتماعي من اللغة، الخارج عن الفرد، هذا الفرد الذي لا يستطيع أن يخلقه أو أن يغيّرَ فيه. وهذا اللسان الذي لا يوجد إلاّ بفضل نوع من عقد يجري بين أعضاء الجماعة، والفرد من جهة أخرى، يحتاج الى عملية تعلّم كي يعرف سير اللسان؛ والطفل لا يتمثله إلاّ رويداً رويداً. إن (أي اللسان) شيء مختلف الى درجة أن رجلاً فقد الكلام يظل يحتفظ به (أي باللسان) شريطة أن يفهم العلامات الصوتية التي يسمعها.

٢ – إن اللسان، وهو متميز عن الكلام، موضوعٌ تمكن دراسته على حدة. فنحن لم نعد نتكلم **الألسن** الميتة لكننا نستطيع جيداً تمثل بنائها اللساني. وليس في مقدور علم اللسان التخلي عن العناصر الأخرى للغة وحسب بل يستحيل قيامه إذا كانت هذه العناصر مختلطة به.

٣ – وبينما تقوم اللغة على تنافر، فان اللسان كما بان حدُّه ذو طبيعة متجانسة: انه نسقٌ من علامات لا يهمنا فيه سوى الوحدة بين المعنى والصورة السمعية، وفيه قسما العلامة نفسانيّان، الواحد كما الآخر.

٤ – ولا يقل اللسان عن الكلام من حيث كون الأول غَرَضاً ذا طبيعة محسوسة. وهذا غُنمٌ كبير بالنسبة للدراسة. فرغم ان العلامات اللسانية نفسانية بشكل أساسي، فهي مع ذلك ليست تجريدات. إن التداعيات التي أقرَّها التراضي الجماعي والتي يؤلف مجملها اللسان هي حقائق مقرها الدماغ. فضلاً عن أن اشارات اللسان، هي، بكلام ما، ملموسة. تستطيع الكتابة تثبيتها في صور اصطلاحية، بينما يستحيل تصوير كل تفاصيل الكلام. إذ ان نطق كلمة ما مهما صغرت، ينطوي على حركات عضلية لا عدّ لها وتصعب كثيراً معرفتها ورسمها. أما في اللسان فعلى العكس من ذلك، لم تبقَ إلاّ الصورة السمعية وهذه

يمكن ترجمتها الى صورة مرئية ثابتة. لأنه لو وضَعْنا جانباً هذه الوفرة من الحركات الضرورية لكي تتحقق الصورة السمعية في الكلام يبقى أن كلَّ صورة سمعية ليست كما سنرى، سوى حاصل عدد محدود من عناصر أو فونيمات قابلة لأن يرمز اليها بعدد مماثل من العلامات في الكتابة. إن إمكان تثبيت الأشياء العائدة الى اللسان هو بالذات ما يجعل قاموساً ما أو قواعد ما تمثل اللسان بأمانة؛ فاللسان مستودع الصور السمعية والكتابة شكل هذه الصور الملموس.

٣ – موقع اللسان بين الوقائع الانسانية.

السيمياء.

إن هذه الصفات تتيح لنا اكتشاف صفة أخرى أعظم أهمية. إذ بات من الممكن ادراج اللسان، كما بيَّنا حدَّه، في صنف الوقائع الانسانية. وهذا أمرٌ لا يمكن وقوعه على اللغة.

لقد رأينا أن اللسان مؤسسة اجتماعية. لكن هذه المؤسسة تختلف عن مثيلاتها الأخرى السياسية والقانونية، الخ.. مما يجعل لزاماً علينا، لكي نفهم طبيعتها الخاصة، إجراء ترتيب جديد للوقائع.

إن اللسان نسق من العلامات يعبر عن أفكار. وبهذا، فهو شبيه بالكتابة وبأبجدية الصم–البكم، وبالطقوس الرمزية، وبآداب التصرف، وبالاشارات العسكرية، الخ.. ولكنه، بين هذه الأنساق جميعها، هو الأهم.

إنه لمن الممكن إذن تصور علم يدرس حياة العلامات وسط الحياة الاجتماعية. وسيكون عند قيامه قسماً من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي قسماً من علم النفس العام. سنطلق عليه اسم السيمياء. وسيعلمنا ما مضمون العلامات وما القوانين التي تسوسها. وبما أنه لم يقم بعد فمن غير الممكن قول ما سيصير اليه. أمّا حقه في الوجود فقائم. ومكانه محدد سلفاً. وما الألسنية سوى قسم من هذا العلم العام. والقوانين التي سيكتشفها ستكون قابلة للتطبيق على الألسنية بحيث ستجد هذه الأخيرة نفسها مرتبطة بميدان محدّد جيداً داخل مجموع الوقائع الانسانية.

إن تعيين موقع السيمياء بدقة يقع على عاتق عالم النفس. أما مهمة الألسني فتحديد ما يجعل من اللسان نسقاً خاصاً من بين مجموع وقائع السيمياء. وسنعود الى هذه المسألة لاحقاً. لأننا هنا لا نتوقف إلاّ عند شيء واحد: فاذا استطعنا ولأول مرّة، أن نجعل للألسنية مكاناً بين العلوم فذلك عائد الى ربطنا إياها بالسيمياء.

لماذا لم يعترف بعد بالسيمياء كعلم مستقل، له موضوعه الخاص به ككل علم آخر؟ لأنّا ندور في حلقة: إذ ليس أجدر من اللسان في تبيان طبيعة المسألة السيميائية. ولكن لكي تطرح هذه المسألة بشكل ملائم علينا دراسة اللسان في ذاته. أما واقع الحال فهو أن دراسته حتى الآن كادت تكون، على

الدوام، بهدف شيء آخر، ومن زوايا نظر أخرى.

ثمّة. أولاً. المفهوم السطحي عند عامة الناس: وهو لا يرى في اللسان غير لائحة اسماء، مما يلغي كل بحث في طبيعته الحقيقية.

ثم هناك وجهة نظر عالم النفس الذي يدرس آلية العلامة عند الفرد. وهذه طريقة غاية في اليسر، لكنها لا توصل الى أبعد من التنفيذ الفردي ولا تطال العلامة التي هي اجتماعية بطبيعتها.

ونضيف أيضاً أنه عندما يُتَنَبَّه الى وجوب دراسة العلامة من زاوية اجتماعية فلا يُتوقَّف الاّ عندما للسان من سمات تربطه بالمؤسسات الأخرى الخاضعة الى حد ما لارادتنا. وبهذا الشكل نعبر الى جانب الصفات التي لا تنتمي إلاّ الى الأنساق السيميائية عامةً وإلى اللسان خصوصاً. ذاك لأن العلامة تخرج دائماً. بمقدار معين. عن الارادة الفردية أو الاجتماعية. وهنا تكمن صفتها الأساس. لكنّ هذا بالضبط ما هو أقل ظهوراً للوهلة الأولى.

وهكذا فان هذه الصفة لا تظهر جيداً الاّ في اللسان. ولكنها تعلن عن نفسها في الأشياء التي تقل دراستها. أما رجع هذا الأمر هو عدم وضوح الضرورة أو الفائدة الخاصة من علم السيمياء. أما نحن. على العكس من ذلك. فنرى أن المسألة اللسانية هي سيميائية قبل كل شيء. وتكتسب كلُّ جهودنا معناها من هذا الواقع المهم. فاذا ما أريد اكتشاف طبيعة اللسان الحقيقية. وجب علينا أولاً تناوله بما يتشابه به مع كل الأنساق الأخرى من الفئة ذاتها. أما العوامل اللسانية التي تبدو شديدة الأهمية للوهلة الاولى (عمل جهاز الصوت مثلاً) فيجب أن ينظر اليها في المرتبة الثانية إذا كانت لا تستخدم إلاّ لتمييز اللسان عن الأنساق الأخرى. وبهذا. لن تتضح المسألة الألسنية وحسب. بل نظن أنَّ الطقوس والعادات... وبسبب من اعتبارنا إياها علامات ستظهر بشكل مختلف. وستنشأ الحاجة لضمها الى السيمياء. ولتفسيرها بقوانين هذا العلم.